إسرائيل وتركيا وصراع جديد على الطاقة

والعرب غائبون

الدكتورة أحلام بيضون

لقد استبشرت الشعوب العربية الخير مع انتفاضات رئيس الحكومة التركية المتكررة ضد سياسة الكيان الإسرائيلي. فإلى وقت غير بعيد كانت تركيا من أخلص حلفاء إسرائيل. وتتوطد علاقات البلدين على مختلف الصعد خاصة العسكرية والإستخباراتية. وبدأت تتحول السياسة التركية بوضوح لدعم الحقوق الفلسطينية، وكان الصدام الأول حول غزة. السؤال : هل أن الأتراك قد صحى ضميرهم فجأة أم أن رائحة الغاز والنفط التي فاحت من شواطئ المتوسط الشرقية هي التي دفعتهم لإعادة حساباتهم.

الحقيقة أنه لا أحد بإمكانه أن ينكر أن الجرائم التي ارتكبت وترتكب ضد الشعب الفلسطيني، والحصار الذي يرزح تحته سكان القطاع لا يمكن إلا أن تحرك أي ضمير بشري. ولكن على الصعيد الدولي كثير من الحكومات تميت لديها المشاعر الإنسانية تحت وطأة المصالح الدولية. ولا تشذ الحكومة التركية عن هذا المسار. غير أن التطور الذي حصل دون أن تخطط له تركية ولا كانت تريده إسرائيل هو ما نتج عن استهداف سفينة مرمرة التركية واستباحة دم المتضامنين الأتراك على متنها. إنه اعتداء موصوف في نظر القانون الدولي، والتغاضي عنه من قبل تركيا سيشكل إهانة كبرى لها. أما حكومة اليمين الإسرائيلي فقد تلقفت تباشير التحول التركي بتوتر وبدل أن تمضغ وتهضم إهانة أردغان لرئيسها شيمون بيرز، حين انسحب من المؤتمر احتجاجا على وجود هذا الأخير، فإن وزير خارجيتها أراد أن يلقن الأتراك درسا في البروتوكول حين أهان السفير التركي من خلال الطريقة التي استقبله بها.

إذن كل من إسرائيل وتركيا تعيشان حالة من التأزم في علاقتهما. وإذا كانت الغطرسة والجرئم الصهيونية غير بعيدة عن المشهد، فإنها حتما ليست السبب فهي قديمة ترافقت مع نشوء الدولة الصهيونية اللقيطة. إذن ما الذي استجد في الأمر. إن الجواب بسيط وهي التأكد من وجود ثروات غازية ونفطية هائلة في شواطئ المتوسط الشرقية، وليس من مصلحة تركيا أن تترك إسرائيل تسرح وتستغل تلك الثروات بدون رقيب أو

حسيب. ليس ذلك فحسب بل إن التطلعات التركية امتدت لتغمر سائر دول العالم العربي، أفليست هي الأمبراطورية التي حكمت البلاد والعباد إلى وقت غير بعيد؟ أوليس أفول نجم الأمبراطورية العثمانية وانحسار نفوذها في البلاد العربية تزامن مع نذر إقامة دولة للصهاينة في أرض فلسطين؟ إذن ما الذي ينقص الدولة التركية اليوم كي تعيد أمجادها؟ إن رئيس وزرائها أردغان لا ينفك يذكر العالم بأن بلاده أمبراطورية كبرى وتاريخها معروف من القاصي والداني.

ورغم كل ذلك، السؤال الكبير الذي نطرحه نحن الشعوب العربية هو لماذا تبقى بلادنا عرضة لمطامع الدول الكبرى والمتوسطة؟ وإذا كان الجواب البديهي هو موقع هذه البلدان الإستراتيجي، وغناها بالثروات الطبيعية، فإنه يبقى جوابا لا يشفي. فإذا كانت البلدان العربية كما ذكر، هل هذا سبب يكفي بذاته كي تكون الشعوب العربية وثرواتها واستقلالها مباحا وعرضة للأخطار المتواترة؟ والجواب عن ما يصيب دائما الأمة العربية في مقتل، هو فساد واستبداد من يتولى الشأن في هذه البلدان، إنهم القادة المتواطئون مع مراكز القرار في العالم، ليس لحماية بلادهم وشعوبهم، بل لحماية مراكزهم وثرواتهم. إن البلدان العربية رغم غناها الطبيعي، وتعداد سكانها الذي يقارب الثلاثمائة وخمسين ألفا لم تتمكن من تكوين كيان قوي ودولة يحسب لها حساب على الصعيد العالمي. إن السبب في ذلك ليس نقصا طبيعيا بل غياب لإرادة سياسية فاعلة تحول الضعف والإرتهان للخارج إلى قوة، معتمدة في ذلك على عناصر القوة التي تتوفر لديها.

إزاء ما تقدم، عسى أن تتمكن الثورات الشعبية العربية المتلاحقة من وضع حد لأنظمتها المستبدة المتعفنة، وبالتتابع وضع حد لتفرقة شعوبها، وضعف كياناتها السياسية والإقتصادية، والحؤول دون استباحة أرضها واستقلالها وثرواتها وكرامتها.